الأبعاد النفسية في اختيار الألفاظ النبوية

وتأثيرها على المتلقي

الطالب: عماري مالك

جامعة تيارت ـ الجزائر

تعتبر عملية الاختيار من أبرز المباحث التي اعتمدتها الأسلوبية الحديثة، والتي اعتبرتها عمليـة مساعدة على كشف تفرد كاتب أو خطيب على غيره من الكتاب أو الخطباء، بل منهم من ذهب إلى أن جعل الاختيار هو الأسلوب أو من دواعي قوة الأسلوب. فليس من الصعب أن تتكلم أوتكتب، لكن من الصعب أن تختار ما تكتب أوما تقول وأن يكون هذا الاختيار يفضي بك وبسامعيك إلى المعنى الصائب المؤثر. والظاهر أن أقوى عملية تخير الألفاظ بعد كلام الله- عز وجل- كلام رسوله – صلى الله عليه وسلم- فقـد كان الاختيار الشافي الهادي، والسهل من الألفاظ القريب البادي. وقد استطعنا من منظورنا تقديم جانب من بلاغته تمثلت في تخير اللفظ من حيث الجرس الموسيقى وتأدية المعنى، ومن حيث التناسب والمعنى، ومن حيث التناسب وحقائق المعنى، وأخيرا تخير اللفظ من حيث الصفات النفسية الحاصل من مجموعها هذا الاختيـار ولم اقتصر في هذا كله على الجانب التنظيري بل تجاوزته إلى الجانب الإجرائي التطبيقي في كثير من أحيانه، بغية إيضاح وتبيين جمالية بلاغته –صلى الله عليه وسلم- من خلال الأبعاد النفسية لعملية اختيار الألفاظ .

بلغت عناية العرب بلغتهم ذروة التوسع والجمال، فكانت بحق اللغة الأرقى من بين اللغات؛ محكمة الفصول، سهلة الحصول، حتى أنك لا تجد فيها عروة مفصولة ولا كلمة مفضولة وإن العرب وإن بلغ من كلامهم ما بلغ من فصاحة وبلاغة وحسن بيان وبراعة، فلا يسلم أن يعتريه الزلل والاضطراب والعيب والنقص والاختلاط. في حين نجد كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم- لا يدانيه كلام بشر، ولا تقاربه بلاغة بليغ. فقد كان –صلى الله عليه وسلم- رأس الفصاحة

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

والبيان، وطلب غاية البلاغة والتبيان([1])؛ جاء بأسلوب ترّق له النفوس، وتطرب له الأفئدة والأسماع والقلوب، بعيد عن الصنعة والكلفة، قريب إلى اليسر والسهولة، بحيث لا يجد الناظر المتفحص في كلامه، بدا للسقط وللاسترسال والاستكراه وحاشاه -صلى الله عليه وسلم- وفي معرض هذا يقـول الجاحظ: "وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف..." ([2])، كيف وهو القائل:"أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد"([3])والقائل: "بعثت بجوامع الكلم" ([4])، وجوامع الكلم: الكلام القليل ذو المعنى الكثير وقد تصيَّدنا جانبا من جوانب بلاغته وفصاحته -صلى الله عليه وسلم- المتمثلة في دقة اختيار اللفظة حال خطبه ووعظه وإرشاده وتأثيرها على نفسية المتلقي، سواء من حيث الجرس الموسيقي، أو من حيث الارتباط والتناسب بين اللفظ والمعنى، أو الارتباط بين اللفظ وحقائق المعنى، أو الصفات النفسية الحاصل من مجمـوعها اختيار تلك الألفاظ وهذه الدقة في الاختيار هي بمثابة جسر عبور من الألفاظ إلى الأرواح ومعانيها، ومن النفوس إلى الأجساد وحقائقها، إشباعا للنفس وفكا لقيد تعلقها بالبدن حتى تسمو بالأفئدة والألباب في أعلى عليين.

1- **دقة اختيار اللفظة من حيث النغم الموسيقي** : ارتبطت الأساليب البلاغية بالنفس ارتباطا وثيقا لا يكاد ينفك، والبلاغة بما تحويه من معان وإيحاءات قد ربطها البلاغيون بجرس اللفظة - الموسيقى- التي ترجع إلى تأليف الأصوات وتعالقها، مما يمكن لتلك الأصوات أن تزرع الإثارة والانتباه في نفس المتلقي عن طريق حاسة السمع، وهذا ما لمسناه في تضاعيـف مؤلفات النقاد والبلاغيين القدامى والمحدثين، يقول ابن طباطبا : " إن كل حاسة من حواس البدن إنما تتقبل ما يتصل بها مما طبعت له إذا كان وروده عليها ورودا لطيفا باعتدال لا جور فيه... والأذن تتشوف للصوت الخفيف الساكن وتتأذى بالجهر الهائل " ([5])، ويعتبر ابن رشيق أن : " الألفاظ في الأسمـاع كالصور في الأبصار " ([6]) ،وعلى نحو ذلك يقول أبو هلال العسكري : " والنفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلـق من الجاسي البشع، وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنفر عما يضاده ويخالفه... والسمع يتشوف للصواب الرائع وينزوي من الجهير الهائل"([7])، ويقرر (فنجتشيتن) "أن الاستخدامات اللغوية حسبها أن تكون رموزا أو وسائط تشير إلى تلك الحالات النفسية" ([8])

قد تمثل هذا في نهيه –صلى الله عليه وسلم– أن يقال: "خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي" ([9]) ومعناهما واحد : أي غثت نفسي وساء خلقها ."ولكنها في اللفظ تخالفها ،فهي أهون منها وأيسر " ([10]) ،فناهيك عن كراهة اللفظ من جهة المعنى، نرى نوع من تصوير الألفاظ بجرسها، فاجتماع السين في (لقست ونفسي) يضفي لدى المتلقي جوا من الوسوسة وعدم الثقة فيه، وهذا ما يناسب حال القائل (خبثت نفسي)، كما نرى التقابل بين الكلمتين (لقست، نفسي) طلبا للتوازن. ولهذا نجد ابن الأثير في تعليقه على قوله – صلى الله عليه وسلم–: "ارجعن مأزورات غير مؤجورات". يقول :"وإنما أراد موزورات ـ من الوزر ـ فقال:– مأزورات مكان مأجورات– طلبا للتوازن والسجع"([11]). وهذا مذهب البلاغيين في اعتبار الإيقاع الصوتي المتوازن عنصرا هاما من عناصر التأثير في الخطاب اللغوي، لأن النفس بطبيعتها كما يرون تميل إليه. ففصاحة الألفاظ متوقفة على البعد النفسي، وظهور دلالتها متوقف على ألفتها واستئناس المتلقي بها؛ وهذه تعتبر ظاهرة من الظواهر الفطرية التي تتفاعل بتفاعل النفس مع الإيقاع الداخلي للفظة المفردة استحسانا أو استهجانا عن طريق حاسة السمع التي تزودنا بالإدراك الخارجي، وهذا ما بينته الدراسات النفسية "أن الإنسان يميل إلى عدم الأشياء التي تقلقه وتزعجه، والأمور التي تتعارض مع رغباته وأهوائه".([12])

ونستشف ذلك أيضا في قوله – صلى الله عليه وسلم – : "كحامل المسك ونافخ الكير"([13]) من حيث التوازي الصرفي بين اسم الفاعل (حامل، نافخ) الذي يرتفع من خلال الموسيقى الداخلية لتجلية الصورة الفنية. وأيضا مجيء صيغة (التفاعل) في قوله – صلى الله عليه وسلم–: "توادهم وتراحمهم وتعاطفهم". الدالة على المشاركة والتلاحم، فلو قيل: (مثل المؤمنين في ودهم ورحمتهم وعطفهم) لما أدت المعنى الإضافي ذاته، ولما أحست النفس بذلك الإيقاع نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الجرس اللفظي يوحي في نفس المتلقي تخييل صور ذهنية تناسب إيقاعه، وتشيع في نفسه جوا نفسيا معينا باعتبار النفس تابعة للهوى، والهوى تواق وميال لما هو أجمل "كذلك النفس لما كانت حال تعلقها بالبدن يكثر عليها اتباع هواها صار لفظ (النفس) يعبر به نفس المتبعة هواها أو عن اتباعها الهوى" ([14]). ومن خلال النماذج التي رأيناها نستشف مدى عناية الرسول –صلى الله عليه وسلم– بعملية التوصيل للمتلقي عن طريق الجرس الموسيقي للفظة المفردة، والمتواليات الإيقاعية، التي بدورها ساهمت في سمو الفكرة والتأثير على نفسية المتلقي.

2 ـ **اختيار اللفظ من حيث التناسب وحقائق المعنى:**

كما وضحنا من قبل فإن اختيار الألفاظ النبوية تمثّل في الجانب المتعلق بالجرس الموسيقي للفظة ومدى تأثيرها على نفسية المتلقي. أما الشق الآخر نجده تمثّل في التناسب والارتباط بين الألفاظ وحقائق المعنى. وفي معرض هذا يقول ابن القيم –رحمه الله–: "ولما كانت الأسماء قوالب للمعاني ودالة عليها، اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب... بل للأسماء تأثير في المسميات تأثر عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة".([15])

ولما كان بين الأسماء ومسمياتها من الارتباط والتناسب والقرابة ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام، عبر العقل من كل منهما إلى الآخر كما كان إياس بن معاوية وغيره يرى الشخص فيقول: ينبغي أن يكون اسمه كيت وكيت، فلا يكاد يخطئ.([16]) وقوله –صلى الله عليه وسلم– للنابغة الجعدي لما أنشده:

وَلا خير في جهل، إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ولا خير في حلم، إذا لم تكن له بوادره تحمي صفوه أن يكدرا

فقال –صلى الله عليه وسلم–: "أجدت، لا يفضض الله فاك. قال الراوي: فنظرت إليه، فكأن فاه البرد المنهل، ما سقطت له سن ولا انفلّت، ترف غروبه".([17])، وإن كان هذا من بركته – صلى الله عليه وسلم – إلا أننا نجد أن هناك ارتباط بين اللفظة وحقيقة المعنى التي بينها الراوي من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال كلامه المدرج في الحديث النبوي . فقد استطاع اللفظ أن يصل إلى حقيقــة الشيء، ويتجاوز الأعراض ليصل إلى المحسوسات ويؤثر فيها، فالنفس تتأثر بالجميل من الأشياء وتتفاعل معه، وهذا التفاعل ينعكس بالإيجاب على المتلقي، فيظهر إما فيزيولوجيا أو من خلال سلوكاته وتصرفاته.

وثبت عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه غير اسم عاصية وقال : "أنت جميلة"([18])، وغير اسم بره باسم جويرية([19]). والناظر المتفحص لحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– يجد أنه في تغييره للاسمين راع حقيقة المعنى،فالمرأة المسلمة يناسبها اطلاق اسم جميلة عليها بدل عاصية، لأن الاسلام يزين ويجمل ويهذب، ويلبس المرء حلة النضارة والنقاوة، وحقيقة هذا المعنى لا يناسبه اسم عاصية.كما أن للأسماء تأثير على مسمياتها فلفظ (عاصية) قد يؤثر في صاحبه ويجره إلى العصيان.

أما اسم بره فيعني الترارة؛ أي السمن والبضاضة، والترة: الجارية الحسناء الرعناء([20])، وهذا نقيض حقيقة الشيء كما أشرنا من قبل. ولما قدم المدينة واسمها يثرب غيره إلى طيبة. فاستحقت هذا الاسم، وازدادت به طيبا إلى طيبها([21])، وواضح من كلامه –صلى الله عليه وسلم– أنه اهتم باستبدال الألفاظ القبيحة بألفاظ حسنة، لما يرى فيها من التأثير على حقائقها، ولحرصه –صلى الله عليه وسلم– على أمته وإيراد الخير لهم، اختار لهم أحسن الألفاظ، ودقق فيها، وأعطى لكل شيء ما يستحقه فكانت ألفاظه بذلك أرقى المنطوقات لأعظم وأحن ناطق.

كما أنه نهى –صلى الله عليه وسلم– عن تسمية العنب كرما فقال: "الكرم الرجل المسلم"([22]). لأن هذه اللفظة تدل على كثرة الخير والمنافع في المسمى، وشجرة العنب غالب الظن فيها مستخرجا للخمر، ولذلك كان المستحق لها الرجل المسلم ولا تكون إلا له.([23]) وفي النهاية تمثل ما ذكرناه في هذا الشكل البياني:

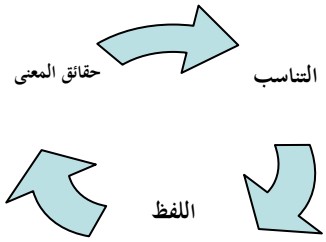

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 ـ اختيار اللفظ من حيث التناسب والمعنى :

رأينا فيما سبق أن اختيار الألفاظ أخذ شقين، ما تعلق بجانب النغم الموسيقي، والثاني ما تعلق بتناسب اللفظ وحقائق المعنى. ونمر الآن إلى وجه آخر تمثل في عملية اختيار اللفظ من حيث التناسب والمعنى، ونلمسه كثيرا في أنماط كلامه –صلى الله عليه وسلم– على تنوعها، نبدأها ببراعة الاستهلال الذي نجده يعطي بعدا نفسيا ويساهم في إنجاح العملية التواصلية، كما أنه لا يخلو من معايشة التجربة الشعورية لدى المتلقي.

ونستشف ذلك في تصدير الأحاديث الشريفة بكلمة (مثل)، منها قوله –صلى الله عليه وسلم:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[24]. و(مثل) تجيء بمعنى الحال والصفة، والجمع بينهما يدل على تشبيه الهيئات والأحوال. وهذا التصدير بدوره يمهد النفوس ويهيئها لتقبل التجربة الشعورية، بما تضمنته هاته اللفظة من إثارة انفعالية تشويقية تبرز القيم العليا في التعليم والاعتبار.

وإضافة كلمة (مثل) للمؤمنين وعطف (الواقع) –التواد والتراحم والتعاطف– يجعل المثال مزدوجا، والصورة متعددة، ويعطي للصورة أبعادا متشابكة كالتشابك واللحمة التي يريد –صلى الله عليه وسلم– ترسيخها في النفوس من خلال النماذج المستقاة من المجتمع. وانظر إلى التناسب بين لفظة (السهر) التي تفيد التجاوب الشعوري بين الأعضاء، وبين (الحمى) التي تجسد ذلك التجاوب بشكل فعلي. وهذا الاختيار الدقيق يعكس حرص النبي – صلى الله عليه وسلم– أن يكون الفرد المسلم حريصا على الشعور بالآخرين، ويعمل على تجسيد هذا الحرص في الواقع لغاية سامية تتمثل في توحيد الأمة.

وقوله _صلى الله عليه وسلم– : "من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب الآخرة"([25]). فالتنفيس هو التفريج، والمساعدة، ورفع الغبن. لكن لم يأت –صلى الله عليه وسلم _ بهاته الألفاظ ولا غيرها لأنها لا تفي بالغرض نفسه، ولاتبرز المعنى كما هو.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فنفّس من التنفيس والنفس هو الهواء الخفيف، ويطلق على النسيم الخارج من الصدر والداخل فيه. "ولما كان حبس النسيم في الصدر يحدث ضيق الاختناق وهو من الكرب... بعد أن احترق الاكسجين الذي فيه، وارتفعت فيه نسبة ثاني أكسيد الكربون"([26]). جاء النبي –صلى الله عليه وسلم– باللفظ المناسب (نفس) لمعنى التنفيس" وهو إعطاء نفس نظيف، فينشرح صدره، ويمتص حاجته من الأكسجين الذي فيه"([27]) وقد جاء النبي –صلى الله عليه وسلم– بلفظ التنفيس وهو الأدق والمناسب للغرض المراد، فلبس المعنى واحتواه وخرّجه على استواء.

وفي قوله –صلى الله عليه وسلم–: "الآن حمي الوطيس"([28])، ومعنى لفظ (الوطيس)؛ التنور مجتمع النار والوقود، فاختيار هذا اللفظ بالذات يختزل كل ما يقال في صفة المعركة، وما يدور في رحاها وكأنها هي تمثل لك دماء نارية دموية ؛ يقابلها أن المحاربين في القتال يأكل بعضهم بعضا، كما تأكل النار الوقود، ولفظة (الوطيس) نار مشبوبة من البلاغة تأكل الكلام أكلا. ولو أدير لسان العرب لما وجدت لفظة مماثلة تصور لك الواقع تصويرا كليا، وتستحضر لك المشاهد استحضارا آنيا، وتمتعك امتاعا فنيا، فانظر هل لك أن تجد في غيره من الكلام ما يثلج صدرك ويروي غليلك؟!

وقوله –صلى الله عليه وسلم– : "مات حتف أنفه" وهذا الاختيار للفظة (أنفة) نجد لها عدة تخريجات كلها تصب في أن الاختيار يتناسب والمعنى، بل تجده يحيط به إحاطة شاملة. فقوله: (مات حتف أنفه)؛ أي هلك على فراشه، وهذه اللفظة تحمل معنى أن الرجل الذي يموت في فراشه دون قتال، تتناقله الألسنة وتؤرخ موته، وهذا ما يأنفه العرب، فكأن الرجل في هاته الحالة قد ماتت أنفته وكبرياؤه([29]).

وقد يحمل على معنى أن العرب عرفوا بالكبر وعزة النفس كما أشرنا، ولا شك أن الكبر قد ولّد الكثير من المشاحنات والاقتتال والانتقام والفوضى في الجاهلية، وعليه فقد اختار –صلى الله عليه وسلم– لفظة (أنفة)، الدالة على الكبر لتناسبها والمعنى المراد التنبيه عنه، فالنبي – صلى الله عليه وسلم – أراد القول: أنه من كان متكبرا متجبرا، فإن مآله الهلاك؛ أي أوصيكم بالتواضع فإن الكبر مقتلة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله: "إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"([30])، غين من الغنة: أن يشرب الحـرف صوت الخيشوم. وروضة غناء: تمر الريح فيها غير صافية الصوت، من كثافة عشبها والتفافه([31]). وغين على قلبه غينا: تغشته الشهوة، أو غطي عليه وألبس، أو غشي عليه، أو أحاط به الرين([32])، ولفظة (يغان) تناسب المعنى المراد، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يصف حالة تعرض قلبه للشهوات بهذا اللفظ الدقيق (يغان)، الذي يدل على تعرض الأشياء إلى أمر عارض سطحي، أو مجرد شهوة عابرة لا تكاد تؤثر أو تستقر فيه. ولم يقل: (تغشتني أو غطتني) لأن الغشاوة والغطاء هو الإطباق على الشيء والإحاطة به بحيث تتمكن الشهوة منه، وهذا لا يتناسب مع شخصه –صلى الله عليه وسلم– باعتباره نبي رسول معصوم من عند الله –عز وجل– وما رأيناه يتمثل في الشكل البياني الآتي:

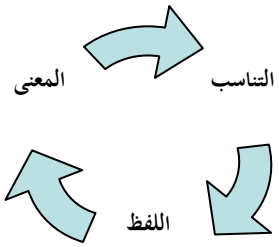

4 – الصفات النفسية الحاصل من مجموعها اختيار الألفاظ :

إن كان ما سبق وذكرناه متميزا، فإن ذلك يرجع إلى نفسيته –صلى الله عليه وسلم– المليئة بالطهر والإيمان، كثيرة الحمد والشكران. كما نجدها امتازت بالطيب، وحسن الخلق والعفو والسماح والخير "ولما كان عقله –عليه الصلاة والسلام – أوسع العقول لا جرم اتسعت نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عنه شيء. كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خلقه القرآن "([33]). ومن كانت نفسه كذلك تأبى إلا أن تتخير أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها وأدفأها، وأقربها إلى النفس البشرية، وأبعدها عن ألفاظ الفحش والتفحش. وهذا أنه –صلى الله عليه وسلم– لم يكن فاحشا ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متفحشا. ونهى عن الفحش ومقته فقال: "ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه"([34])

وهذه النفس الشريفة جاءت بالألفاظ من ورائها لا من وراء اللسان "فجعل من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية"([35])، وقلَّبت المعاني كيف شاءت حتى أنك تجدها -المعاني النبوية- في ألفاظ تقصر بحقيقته النفسية في نظمها وسبكها؛ فهي ألفاظ لمعانيها، لا معاني جلبت لألفاظ كما جاء في كلام عامة البلغاء.

كما تتضح صفة كمال نفسه من خلال وصف هند بنت أبي خولة لما سألها حفيده وريحانته الحسن-رضي الله عنه- عن حليته -عليه السلام- فوصفت له النبي-صلى الله عليه وسلم- بصفات خِلقية إلى أن قالت: (... كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم من غير حاجة، طويل السكوت"([36]). وهاته الصفات المتكاملة كلها تشحن اللفظ فتخرجه في أكمل معنى وألطفه، وتصل به إلى القلب في أبهى حلة وأنعمه.

وإذا تأملنا إلى تلك الملفوظات اللسانية المتصدرة لكلامه -صلى الله عليه وسلم- نجدها أعراضا سطحية تخفي أو تعكس الحركة النفسية النابعة عن الصفات الخُلقية التي أدبه ربه عليها-عز وجل- فأحسن تأديبه. كما أننا نجد ألفاظه جاءت مهذبة تنطق عن نفس مهذبة، وتشع رونقا وجمالا وحسنا وانسيابا في النفوس كانسياب محبته-صلى الله عليه وسلم- في الأفئدة والقلوب والنفوس، ولازمته في مسيرته الدعويــة فبلغ بأفصح الألفاظ وأتمها، وألطف العبارة وأهونها، وأجمل الصور وأمهلها. فأتم تبليغه حتى توفاه الله -تبارك وتعالى-، ومن هنا نعتبر اختيارات ألفاظه -صلى الله عليه وسلم- قد ارتبطت بالجانب النفسي الروحي له -صلى الله عليه وسلم- بمقابل ما أحدثته من أبعاد تأثيرية إيحائية في نفسية المتلقي.

وقد اطردت الأمثلة كثيرا في هذا المقام ومما يوضح ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لسائق الإبل حينما كان يحدو وعليها نساؤه: "رفقا بالقوارير"([37])، فحرصه على المرأة والحفاظ عليها وحمايتها حتى من نفسها جعله ينبه -صلى الله عليه وسلم- المنشد على عدم إسماعهن صوته، فوصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النساء بهذا اللفظ الدافئ والرقيق (القوارير) الملائم لنفسيته الهادئة المتصفة بالرفق، كما أنها تناسب الموصوفات (النساء) أنهن ضعاف العزائم وقليلات الدوام على العهد، فتأمل هذا الوصف البديع الذي ينبع عن صفاء تلك النفس الطاهرة، وتأمل أيضا إلى ما يحمله هذا اللفظ من معاني اختزلت في هذا الاختيار الدقيق الباهر.

وحديثه لامرأة رفاعة لما شكت إلى النبي – صلى الله عليها وسلم– زوجها عبد الرحمن بن الزبير. فقال لها: "أتريدين أن تراجعي رفاعة، لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"([38])، فالحديث يظهر أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يأت بلفظ صريح في حديثه مع زوجة رفاعة، بل تجاوزه إلى الكناية بلفظ (عسيلته ـ عسيلتك)، فلم يقل: (حتى تجامعيه ويجامعك)، لأن نفسه الحيية الطاهرة تأبى إلا الألفاظ المهذبة التي لا تكسر حاجز الحياء، ولا تعكر صفو الأدب، ولا تنفر المخاطَب عن الاستماع والاستيعاب، فيكون الكلام معدم الأثر في النفوس، والاستمالة للقلوب.

إذا فعامل النفس له الأثر في تغلغل تلك المعاني وانسيابها في نفسية المتلقي، وهذا ما يتجلى حقيقة في واقعنا وقد أدركناه بلا استثناء عندما نستمع لبعض الخطب من أناس هي نفسها تكرر عند آخرين لكن الفارق أن وقع تلك الخطب ليس كأخرياتها، فيعلم الجميع أن السر راجع إلا نفسية الخطيب، وعندما أقول نفسية الخطيب فلا أقصد هنا تأثره بالمقام أو المقتضى، بل المراد الصدق وعلو النفس وشفافيتها بالطبع. مع عدم نفي العوامل الأخرى التي ذكرناها. لذا يمكننا تمثل ما سبق وتحدثنا عنه في الشكل البياني الآتي:

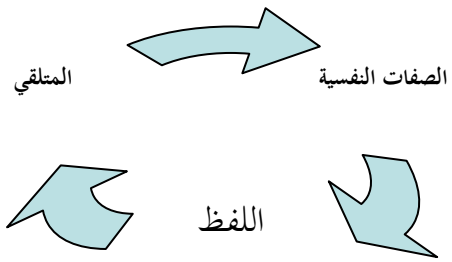

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن تلك النماذج المتنوعة المتمثلة في بلاغة اختياره – صلى الله عليه وسلم- للألفاظ من حيث النغم الموسيقي أو تناسب اللفظ والمعنى أو تناسب اللفظ وحقائق المعنى أو الصفات الحاصل من مجموعها اختيار الألفاظ. نجد في حقيقة الأمر أننا أمام إعجاز بياني فاق قدرة البلغاء من مشابهته، وتجاوز الفصحاء عن مماثلته، وأذهل المتلقين من مماطلته. ومهما قلنا وكتبنا فلن نوفي الوصف حقه، ولن نكشف عن مطمعه، ولن نصل إلى مكمنه، حسبنا في ذلك بيان بعض أوجه التفرد في بلاغته –صلى الله عليه وسلم- من حيث اختيار الألفاظ، وتلك الأبعاد النفسية التي هي حلقة الوصل بين المخاطِب والمخاطَب.

مراجع البحث وإحالاته

1 ـ أي: أن البلاغة تطلب غايتها في الكمال منه .

2 البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح:عبد السلام هارون، مكتبة خانجي،القاهرة، ط7، 1998م، مج: 2، ص :16 ـ17 .

3بيد: (ويقال: ميد بالميم، وهو اسم ملازم للإضافة إلى(أن) وصلتها، وله معنيان :"غير" و"من أجل" . قال البغدادي في "خريج أحاديث شرح الكافية": وقال السيوطي في "اللآلئ المنتثرة في الأحاديث المشتهرة عن الحافظ ابن كثير" أن هذا الحديث لا أصل له. ونبه عليه صاحب " المواهب اللدنية " ثم قال: معناه صحيح. قال ابن الجزري في "النشر" مج:1،ص:220 .(والحديث المشهور على الألسنة: لاأصل له، ولا يصح). نقلا عن: السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي، محمود فجال، (د،ط) ،(د،تا)، ج1 ،ص:242.

4رواه مسلم عن أبي هريرة–رضي الله عنه–رقم :[523] .

5عيار الشعر ،محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي، تح: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، (د، ط)، 1956 م ،ص: 40

6 العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،ابن رشيق القيرواني،تح:محمد محي الدين عبد الحميد،دار الجيل،بيروت،1972م،ج:1، ص:128 .

7الصناعتين، الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1971 م، ص: 63 .

8البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق، محمد بركات أبو علي ،دار وائل للنشر، ط1، 2003م، ص: 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

9عن عائشة ـرضي الله عنهاـ قالت :قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ:" لا يقولن أحدكم:خبثت نفسي،ولكن ليقل:لقست نفسي". رواه مسلم، رقم: [2250] .

10 شرح رياض الصالحين(من كلام سيد المرسلين)،أبي زكريا محي الدين يحي بن شرف النووي،شرح وتعليق:محمد بن صالح العثيمين وعبد العزيزبن عبد الله بن باز ،دار بن الجوزي ،القاهرة ،ج:4، ص: 305 .

11الأسس النفسية في أساليب البلاغة العربية ،مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع، بيروت ـلبنان، ط1، 1984م، ص: 62 .

12القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ،دار الشروق ،القاهرة –مصر، ط7، 2001 م ،ص:134 .

13رواه مسلم عن أبي موسى، عن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير" رقم :[2628] .

14مجموع الفتاوى، أبو العباس ابن تيمية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1997،1م، تح: عامر الجزار وأنورالباز،ج:9،ص:156ـ157.

15 زاد المعاد في هدي خير العباد،شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر الزرعي الدمشقي(ابن قيم الجوزية)،كندة للإعلام والنشر،جدة،ج:1،ص:523.

16ينظر، المصدر نفسه ،ج:1، ص: 524 .

17ـ انفلّت أي لا انثملت له سن ، ترف غروبه أي تبرق ثناياه، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، دار المدني بجده، ط3، 1992 م ،ص: 22.

18رواه مسلم، رقم :[2139].

19رواه مسلم، رقم:[2540] .

20ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صابرة للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1965م مج :1، مادة (بره)، ص:270، مادة (ترر)، ص: 427 .

21 زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، ج1، ص: 523، 524.

22 رواه مسلم من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه –بلفظ :" لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم" رقم:[2247].

23 ينظر، شرح رياض الصالحين، النووي، ص:305 .

24 رواه مسلم عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه– رقم :[2586]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

25 رواه مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– رقم:[2699] .

26 روائع من أقوال الرسول –صلى الله عليه وسلم–"دراسات لغوية وفكرية وأدبية"، عبد الرحمان حسن حنبكه الميداني، دار القلم، دمشق، ط6، 1995 م، ص: 283، 284.

27 المصدر نفسه، ص: 283 .

28 قطعة من حديث أخرجه مسلم في "صحيحه "رقم: [1775].

29 ينظر،المصدر نفسه،ص: 328 .

30 رواه مسلم عن الأغر المزني –رضي الله عنه–رقم:[2702].

31 لسان العرب،ابن منظور، مادة [غين]، ص: 3308 .

32 القاموس المحيط ،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي،تح: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي،ط8، 2005م، مادة [غين]، ص: 1220 .

33 وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني، بيروت، 1309هـ، طبع بموافقة وزارة الشؤون الدينية تحت رقم 82/ 885، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر ،1989 ،ص:114.

34 أخرجه الترمذي، رقم: [1984] .

35 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرفاعي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط9، 1973م، ص: 262.

36 المصدر نفسه، ص: 290

37 رواه مسلم عن أنس –رضي الله عنه– رقم:[2323] .

38 رواه مسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها –رقم:[1433].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com